الدلائل العشرة على نبوة

محمد بن عبد الله

(نبي الإسلام)

تأليف: ماجد بن سليمان

رحمه الله

شوال ١٤٣٣ هـ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فإن من رحمة الله بعباده أن أرسل لهم الرسل لتدلهم على الغاية التي خلقوا من أجلها ، وهي عبادته عز وجل ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1] ، وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[2].

ومن رحمة الله بعباده أيضا أن أيَّد رسله عليهم الصلاة والسلام بالبينات الدالة على صدقهم ، قال تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾[3] ، وهذه البينات تعتبر دلائل ظاهرة وحجج قاطعة لهم على أنهم رسل من عند الله حقا ، لأن تلك البينات ليس في طوق البشر أن يأتوا بمثلها ، كعصا موسى مثلا ، وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام ، وإخبار النبي محمدا ﷺ ببعض الغيوب المستقبلية التي تحققت في حياته وبعد مماته ، وكذلك معجزة القرآن والكريم ، وغيرها كثير من الدلائل الدالة على أن أولئك الرسل قد أرسلهم الله تعالى حقا.

والعلم بالدلائل النبوية يُثبت فؤاد المؤمن على الحق ، ويزيده إيمانا بالله تعالى.

---

[1] سورة الطور: ٥٦ .

[2] سورة الأنبياء: ٢٥ .

[3] سورة الحديد: ٢٥ .

وقد صنف أئمة الحديث كتب عدة في دلائل نبوة محمدا ﷺ ، وذكروا فيها المئات من الدلائل الثابتة عنه ﷺ ، وقد يسر الله في هذا البحث المبارك – إن شاء الله – جمع شيء كثير منها ، نفع الله بها جامعها وقارئها ، وجعلها عونا على اتباع سنته عليه الصلاة والسلام.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وكتبه ماجد بن سليمان

صبح العاشر من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٣ هجري.

majed.alrassi@gmail.com ، www.saaid.net/book

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

المملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وأجمعين ، أما بعد:

فقد سمَّى الله تعالى نفسه باسم «المؤمن» ، أي المصدق لرسله وأنبيائه بما جاؤوا به ، بالآيات البينات والبراهين القاطعات والحجج الواضحات.[1]

وقد أيد الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالدلائل والآيات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصدق رسالته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما مِن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيت وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة.[2]

قال النووي رحمه الله:

أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيث فَاخْتُلِفَ فِيهِ عَلَى أَقْوَال ؛ أَحَدهَا أَنَّ كُلّ نَبِيّ أُعْطِيَ مِنْ الْمُعْجِزَات مَا كَانَ مِثْله لِمَنْ كَانَ قَبْله مِنْ الأنبياء ، فَآمَنَ بِهِ الْبَشَر ، وَأَمَّا مُعْجِزَتِي الْعَظِيمَة الظَّاهِرَة فَهِيَ الْقُرْآن الَّذِي لَمْ يُعْطَ أَحَد مِثْله ، فَلِهَذَا قَالَ: أَنَا أَكْثَرهمْ تَابِعًا.

وَالثَّانِي مَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي أُوتِيتَه لا يَتَطَرَّق إِلَيْهِ تَخْيِيل بِسِحْرٍ وَشُبْهَة ، بِخِلَافِ مُعْجِزَة غَيْرِي ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُخَيِّل السَّاحِر بِشَيْءٍ مِمَّا يُقَارِب صُورَتهَا ، كَمَا خَيَّلَتْ السَّحَرَة فِي صُورَة عَصَا مُوسَى ﷺ ، وَالْخَيَال قَدْ يَرُوج عَلَى بَعْض الْعَوَامّ ، وَالْفَرْق بَيْن الْمُعْجِزَة وَالسِّحْر وَالتَّخْيِيل يَحْتَاج إِلَى فِكْر وَنَظَر ، وَقَدْ يُخْطِئ النَّاظِر فَيَعْتَقِدهُمَا سَوَاء.

[1] قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير اسم الله «المؤمن» ، وقد ورد هذا الإسم مرة واحدة في القرآن في خاتمة سورة الحشر.

[2] رواه مسلم (١٥٢).

وَالثَّالِث مَعْنَاهُ أَنَّ مُعْجِزَات الْأَنْبِيَاء اِنْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارهمْ وَلَمْ يُشَاهِدهَا إلا مَنْ حَضَرَهَا بِحَضْرَتِهِمْ ، وَمُعْجِزَة نَبِيّنَا ﷺ الْقُرْآن الْمُسْتَمِرّ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ، مَعَ خَرْق الْعَادَة فِي أُسْلُوبه وَبَلَاغَته وَإِخْبَاره بِالْمُغَيَّبَاتِ ، وَعَجْز الْجِنّ وَالْإِنْس عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْله مُجْتَمِعِينَ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ فِي جَمِيع الأَعْصَار ، وَمَعَ اِعْتِنَائِهِمْ بِمُعَارَضَتِهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا وَهُمْ أَفْصَح الْقُرُون ، مَعَ غَيْر ذَلِكَ مِنْ وُجُوه إِعْجَازه الْمَعْرُوفَة. وَاَللَّه أَعْلَم.

وَقَوْله ﷺ : (فَأَرْجُو أَنْ أَكُون أَكْثَرهمْ تَابِعًا) عَلَم مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلام بِهَذَا فِي زَمَن قِلَّة الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ مَنَّ اللَّه تَعَالَى وَفَتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْبِلاد وَبَارَكَ فِيهِمْ ، حَتَّى اِنْتَهَى الأَمْر وَاتَّسَعَ الْإِسْلام فِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَة الْمَعْرُوفَة ، وَلِلَّهِ الْحَمْد عَلَى هَذِهِ النِّعْمَة وَسَائِر نِعَمه الَّتِي لا تُحْصَى ، وَاَللَّه أَعْلَم. انتهى باختصار.

قال مقيده عفا الله عنه: ودلائل نبوة محمد ﷺ كثيرة ، فقد ذكر ابن القيم رحمه الله في آخر كتابه «إغاثة اللهفان»[1] أنها تزيد على الألف ، وهذا من رحمة الله بعباده ، ليكون ذلك أدعى للاقتناع والإيمان بنبوته ﷺ ، فسبحان من بهر برحمته العقول.

[1] ص ١١٠٧ .

الحكمة من دلائل النبوة

الحكمة من دلائل النبوة أمران:

الأول: إثبات النبوة ، بالاستدلال بالآية على أن صاحب الآية نبي ، وتحدي من أُرسِلَ إليهم ذلك النبي أن يأتوا بمثلها.

الثاني: حاجة المسلمين ، كما حصل لنبينا محمد ﷺ في قصة تكثير الطعام القليل ، ونبع الشراب بين يديه حتى كفى أضعاف حاجة العسكر ، وبَصْقِهِ في عين علي رضي الله عنه لما اشتكى منها فعادت سليمة[1] ، وكان كل هذا بين الصحابة لسد حاجتهم ، لم يكن أمام المشركين ليتحداهم أو ليثبت نبوته ، وإنما لحاجة المسلمين ، ولا شك أن في ذلك زيادة إيمان لمن حضر القصة أو سمع بها ، وإظهار كرامة النبي ﷺ .[2]

ومن ذلك ما حصل لموسى ﷺ لما فر بقومه من فرعون ثم أدركه ولم يكن أمامه إلا البحر فضربه بعصاه فانفلق فساروا فيه فنجوا ، فانشقاق البحر لم يكن للتحدي وإنما لحاجة المؤمنين معه.

أما إلقاء موسى لعصاه ثم ابتلاعها لعِصِيِّ السحرة فكانت من قبيل التحدي.

ومن هنا يُعلم أن تحدي النبي ﷺ لقومه لم ينقل إلا في القرآن خاصة ، لم يكن كلما ظهر شيء من الآيات تحدى به ، أو كان مقترنا بدعوى النبوة ، فإن الله تعالى لم يقل ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ إلا

---

[1] سيأتي تخريج هذه القصص الثلاث في مظانها بإذن الله.

[2] انظر كتاب «النبوات» (٤٩٨).

حين قالوا: افتراه[1] ، فلم يتحداهم به ابتداء.[2]

أنواع دلائل النبوة التي أوتيها محمد ﷺ

تنقسم دلائل نبوة محمد ﷺ إلى عشرة أنواع ، **فالأولى** بشارات الأنبياء قبله ، ولهذا شهد له بعض علماء أهل الكتاب بالنبوة قبل نبوته لما كان صغيرا وبعد نبوته.

والثانية أنه لو لم يكن نبيا لحذر الأنبياء منه ، ولانتشر هذا في كتبهم وسيرهم ، بينما الواقع خلاف ذلك.

والثالثة أنه ﷺ من أعقل الناس وأصدقهم ، يُقِر له بهذا أصدقاءه وأعداه ، قبل النبوة وبعدها.

والرابعة من الدلائل انقطاع استراق السمع من السماء قبيل بعثته ، لئلا يختلط الوحي بأكاذيب الكهان.

والخامسة من الدلائل أنه كان لا يرى رؤيا في المنام إلا جاءت مطابقة للواقع.

والسادسة أن الله خرق له العادة مرارا

والسابعة إخباره ببعض الأمور الغائبة عن عيون الناس في حينها.

والثامنة من دلائل نبوته ﷺ توقير بعض الحيوانات والجمادات له ﷺ .

والتاسعة إخباره عن أمور مستقبلية ، فوقعت كما أخبر بها ﷺ .

والعاشرة من الدلائل إنزال القرآن الكريم ، وهو الآية الخالدة الباقية إلى يوم القيامة.

---

[1] هذه الفائدة منتقاة من كتاب «النبوات» (٥٠٩ – ٥١٠).

[2] انظر كتاب «النبوات» (٥٤١).

تفصيل

الأولى من دلائل نبوته ﷺ بِشارات الأنبياء به ، ومن ذلك ذكر مبعثه في التوراة والإنجيل ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إسرائيل إني رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يدي مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأتي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

قال الإمام محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي[1] رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير هذه الآية:

وقد بشَّرَت به ﷺ جميع الأنبياء ، ومنهم موسى عليه السلام ، ومما يشير إلى أن موسى مبشراً به ؛ قول عيسى عليه السلام في هذه الآية ﴿مصدقاً لما بين يدي﴾ ، والذي بين يديه هي التوراة ، أنزلت على موسى.

وقد جاء صريحاً التعريف به ﷺ وبالذين معه في التوراة في قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أشداء عَلَى الْكُفَّارِ رُحماء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ ، إلى قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾.

كما جاء وصفهم في الإنجيل في نفس السياق في قوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ ، إلى آخر السورة.

---

[1] هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من علماء القرن الرابع عشر المبرزين ، كان غزير العلم ، متوقد الذكاء ، ذو حافظة نادرة ، له نحو عشرين كتابا ، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة ، أشهرها ذكرا «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ، و «مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر» ، وقد جمعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة بعنوان «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي». توفي رحمه الله عام ١٣٩٣ هـ. باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء» ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

وجاء النص في حق جميع الأنبياء في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَة ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذالِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

وجاء مصداق ذلك في قصة النجاشي لما سمع من جعفر عنه ﷺ فقال: أشهد أنه رسول الله ، فإنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم.[2]

وكذلك دعوة نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ ، ولذا قال ﷺ : أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت.[3]

وقد خُصَّ عيسى بالنص على البشرى به ﷺ لأنه آخر أنبياء بني إسرائيل ، فهو ناقل تلك البشرى لقومه عما قبله ، كما قال ﴿مصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَي مِنَ التَّوْرَاة﴾ ، ومَن قبله ناقل عمن قبله وهكذا ،

---

[1] سورة آل عمران: ٨١ .

[2] رواه أحمد (٤٦١/١) وغيره.

[3] رواه ابن حبان (٣١٣/١٤) عن العرباض بن سارية الفزاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين ، وإن آدم لمُنجدَلٌ في طينته ، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني ؛ أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام.

ورواه أحمد (١٢٨/٤) ، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣٤٠/٢).

منجدل أي ملقى على الجَدالة وهي الأرض. انظر «النهاية».

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة البقرة ، آية ١٢٩: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للإسلام وأهله ، وبها ينزل عيسى بن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ، ولهذا جاء في الصحيحين: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

وفي صحيح البخاري: وهم بالشام. انتهى.

حتى صرح بها عيسى عليه السلام وأداها إلى قومه. انتهى.[١]

ولما كانت نبوءة محمد ﷺ مستقرة في كتب أهل الكتاب ؛ شهد بعض علماء اليهود والنصارى للنبي ﷺ بالنبوة قبل بعثته وبعدها ، لِما رأوا عليه من أماراتها في جسده وهيئته ، مما ورد في الكتب السابقة ، فمن حين مولده ﷺ كان الذي يراه من أهل مكة من غير أهل الكتاب يشعر أن سيكون له شأنا إذا كبر ، ثم لما شب أيقن بنبوته بعض الرهبان من أهل الكتاب وشهدوا له بالنبوة ، أما العرب فلم يكن عندهم من خبره شيء ، وذلك أن العرب كانوا كما قال ابن إسحاق في «السيرة»: كانت العرب أميين ، لا يدرسون كتابا ، ولا يعرفون من الرسل عهدا ، ولا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ، إلا شيئا يسمعونه من أهل الكتاب لا يثبت في صدورهم ، ولا يعملون به شيئا من أعمالهم.[٢]

وسنكتفي بذكر عشر قصص في ذلك ، أولها قصته ﷺ مع **صاحب الدِّير**[٣] ، وذلك أن عمه أبو طالب ذهب به في تجارة إلى الشام ، فنزلوا على صاحب دِير ، فقال صاحب الدير: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال: ما هو بابنك ، ولا ينبغي أن يكون له أبٌ حي.

قال: ولِم؟

قال: لأن وجهه وجه نبي ، وعينه عين نبي.

قال: وما النبي؟

---

[١] تفسير سورة الصف ، باختصار.

[٢] «السيرة» ، ص (٦٢) ، باب قصة الأحبار.

[٣] الدِّير هو خان النصارى. انظر «لسان العرب».

قال: الذي يوحى إليه من السماء ، فينبئ به أهل الأرض.

قال: الله أجلُّ مما تقول.

قال: فاتّقِ عليه اليهود.[1]

ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير ، فقال: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال: ما هو بابنك ، وما ينبغي أن يكون له أب حي.

قال: ولم ذلك؟

قال: لأن وجهه وجه نبي ، وعينه عين نبي.

قال: سبحان الله ، الله أجلُّ مما تقول.

وقال: يا ابن أخي ، ألا تسمع ما يقولون؟

قال: أي عم ، لا تنكر لله قدرةً.[2]

وأما القصة الثانية فرواها ابن سعد في «الطبقات» عن محمد بن صالح بن دينار وعبد الله بن جعفر الزهري وداود بن الحصين قالوا: لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في المرة الأولى وهو ابن اثنتي عشرة سنة ؛ فلما نزل الركب «بُصرى»[3] من الشام وبها راهب يقال له **بَحِيرا** في صومعة له ، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرســونه ، فلما نزلوا بحيرا صنع لهم طعاما ثم دعاهم ، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا

---

[1] أي قِهِ منهم.

[2] رواه ابن سعد في «الطبقات» ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٣ – ٧٤).

[3] بصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام ، وهي مدينة حوران ، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل ، قاله النووي رحمه الله في شرح الحديث.

وغمامة تُظل رسول الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة ، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة ، واخضلَّت[1] أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين استظل تحتها ، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به وأَرسل إليهم ، فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه ، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يَعرف ويجدها عنده ، وجعل ينظر ولا يرى الغمامة على أحد من القوم ، ويراها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ ، قال بحيرا: يا معشر قريش ، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي.

قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنا في رحالهم.

فقال: ادعوه فليحضر طعامي ، فما أقبح أن تَحضروا ويتخلف رجل واحد ، مع أَني أراه من أنفَسِكم.

فقال القوم: (هو والله أوسطنا نسبا ، وهو ابن أخي هذا الرجل) ، يعنون أبا طالب ، (وهو من ولد عبد المطلب).

فقال الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف: والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا.

ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة تسير على رأسه ، وجعل بحيرا يلحظه لحظا شديدا ، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك.

فقال رسول الله ﷺ : لا تسألني باللات والعزى ، فو الله ما أبغضت شيئا بغضهما.

قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه.

---

[1] اخضلَّت أي ابتلت.

قال: سلني عما بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده ، فقَبّل موضع الخاتم ، وقالت قريش: إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً ، وجعل أبو طالب لِما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه.

فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟

قال أبو طالب: ابني.

قال: ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا.

قال: فابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال: هَلَكَ وأمه حُبلى[١] به.

قال: فما فعلت أمه؟

قال: تُوُفِّيت قريبا.

قال: صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، وأحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما

[١] أي حامل به.

أعرف ليبغُنَّه عنتًا[1] ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نَجِدُه في كتبنا وما رُوينا عن آبائنا ، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجاراتهم خرج به سريعا ، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته ، فأرادوا أن يغتالوه ، فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره ، فنهاهم أشد النهي ، وقال لهم: أتجدون صفته؟

قالوا: نعم.

قال: فما لكم إليه سبيل.

فصدقوه وتركوه ، ورجع به أبو طالب ، فما خرج به سفَرا بعد ذلك خوفا عليه.[2]

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت مُنية أن رسول الله ﷺ لما بلغ خمسا وعشرين سنة ؛ خرج في تجارة لخديجة رضي الله عنها مع غلام لها اسمه ميسرة ، حتى قدِما «بصرى» من الشام ، فنزلا في سوق بصرى في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان يقال له **نَسطور** ، فاطلع الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه قبل ذلك فقال: يا ميسرة ، من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة؟

فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم قال: في عينيه حمرة؟

قال ميسرة: نعم ، لا تفارقه.

قال الراهب: هو هو آخر الأنبياء ، ياليت أني أُدركه حين يؤمر بالخروج.

---

[1] أي يريدون أن تصيبه المشقة والهلاك.

[2] مختصرا من «الطبقات» لابن سعد ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٣-٧٤) ، وكذا روى القصة ابن إسحاق في «السيرة» ، ص (٥٣-٥٥) ، كما رواها الترمذي (٣٦٢٠) ، والحاكم (٢/٦١٥ – ٦١٦) ، وصححها الألباني.

ثم حضر رسول الله ﷺ سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى غيرها ، فكان بينه وبين رجل اختلاف في شيء ، فقال له الرجل: إحلف باللات والعُزى.

فقال رسول الله ﷺ : ما حلفت بهما قط ، واني لأمُرُّ فأُعرض عنهما.

قال الرجل: القول قولك.

ثم قال لميسرة – وخلا به – : يا ميسرة ، هذا والله نبي ، والذي نفسي بيده إنه لهو ، تجده أحبارنا في كتبهم منعوتا ، فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا.

وكان ميسرة يرى رسول الله ﷺ إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ؛ يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره ، قالوا: كأن الله قد ألقى على رسوله المحبة من ميسرة ، فكان كأنه عبدٌ لرسول الله ﷺ ، فلما رجعوا فكانوا بمر الظهران قال: يا محمد ، انطلق إلى خديجة ، فاسبقني ، فأخبرها بما صنع الله لها على وجهك ، فإنها تعرف ذلك لك.

فتقدم رسول الله ﷺ حتى قدم مكة في ساعة الظهيرة ، وخديجة في عُلِّيَة[1] لها معها نساء فيهن «نفيسة بنت مُنية» ، فرأت رسول الله ﷺ حين دخل وهو راكب على بعيره ، وملَكان يُظِلان عليه ، فأرته نساءها فعجِبن لذلك ، ودخل عليها رسول الله ﷺ ، فخبَّرها بما ربِحوا في وجهِهم[2] ، فسُرَّت بذلك ، فلما دخل ميسرة عليها أخبرته بما رأت ، فقال ميسرة: قد رأيتُ هذا منذ خرجنا من الشام ، وأخبرها بقول الراهب نسطور ، وما قال الآخر الذي خالفه في البيع ، وربحَت في تلك

[1] أي غرفة. انظر «النهاية».

[2] أي لما انطلقوا في سفرهم تجاه الشام حيث ولوا وجوههم.

المرة ضعف ما كانت تربح ، وأضعَفَتْ له ضِعف ما سمَّت[١] له.[٢]

وروى ابن سعد في «الطبقات» عن بَرّة ابنة أبي تجراة قالت: إن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة ؛ كان إذا خرج لـحاجته أبعد حتى لا يرى بيتا ، ويُفضي إلى الشعاب وبطون الأودية ، فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله ﷺ ، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا.[٣]

وأما قصته مع ورقة بن نوفل ؛ فإنه لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ في غار حراء ؛ رجع إلى خديجة فزعا يرجف فؤاده ، فأخبرها بالذي رآى ، فلما ذهب روعه انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة: يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك.

فقال ورقة للنبي ﷺ : يا ابن أخي ، ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

---

[١] أي أعطته من المال ضعف ما حددته له سلفا ، جزاء له على ما قام به.

[٢] باختصار من «الطبقات» لابن سعد ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٤-٧٥) ، ورواها كذلك ابن إسحاق في السيرة ، (٥٩/٢) ، وقد نقل القصة ابن هشام في السيرة ، باب حديث تزويج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها ، (١/١٥٢-١٥٣).

[٣] رواه ابن سعد في «الطبقات» ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (٧٥/١).

فقال له ورقة: هذا الناموس[١] الذي نزَّل الله على موسى ، يا ليتني فيها جَذَع[٢] ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ : أومُخرجيَّ هم؟

قال: نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزّرا.

ثم لم يَنشب[٣] ورقة أن تُوفي.[٤]

وروى ابن إسحاق في «السيرة» عن عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني أشياخ منا قالوا:

لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ مِنا ، كان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب ، وكُنا أصحاب وثن ، فكنا إذا بلَغنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه ، نَتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وأرم ، فلما بعث الله تعالى رسوله أتبعناه وكفروا به ، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم﴾ الآية.[٥]

ومن دلائل نبوته عند أهل الكتاب ما قاله ابن الهيَّبان ، وكان حبرا[٦] من أحبار اليهود ، وكان عابدا لله ، وكان إذا دعا الله بالسُّقيا[٧] سُقوا وسالت الشعاب ، أتى من الشام إلى المدينة ، فلما حضرته

---

[١] قال السيوطي في «الديباج»: (هذا الناموس) ؛ إشارة إلى الملَك الذي ذكره النبي ﷺ في خبره ، وهو اسم لجبريل ، وأصله في اللغة: (صاحب سر الخير) ، يقال: نمست الرجل ، أي ساررته ، ونمست السر ؛ كتمته.

(١٨٧/١) ، الناشر: دار ابن عفان ، تحقيق أبي إسحاق الحويني.

[٢] أي ياليتني أكون جذعا إذا نبئت ، والجذع هو الشاب.

[٣] ينشب أي يلبث.

[٤] رواه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

[٥] ص (٦٣) ، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧٥/٢) ، وكذا في (٧٦/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[٦] الحَبر هو العالم ، وكان يقال لابن عباس الحَبر البحر.

[٧] أي المطر.

الوفاة اجتمع إليه ثلاثة فتية فقال لهم: يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخَمَر[١] والخَمِير[٢] إلى أرض البؤس والجوع[٣]؟

قالوا: أنت أعلم.

قال: فإنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلاد مُهاجَرُه ، فأتَّبِعُه ، فلا تُسبقنَّ إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري والنساء **ممن خالفه** ، فلا يمنعكم ذلك منه.

ثم مات ، فلما كانت الليلة التي فُتحت فيها قريظة ؛ قال أولئك الفتية الثلاثة – وكانوا شبابا أحداثا – : يا معشر يهود ، والله إنه الذي كان ذَكر لكم ابن الهيَّبان.[٤]

فقال: ما هو به.

قالوا: بلى والله ، إنه لصفته.

ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم.[٥]

وكذلك قصة سلمان الفارسي مع الراهب النصراني الذي كان بـ «عمُّورِيَّة»[٦] ، وكان سلمان الفارسي مجوسيا ، فلما حضرت الراهب الوفاة قال سلمان له: إلى من توصى بي؟ وما تأمرني؟

---

[١] الخمر – بفتح الخاء والميم – هو المكان الكثيف الأشجار ، والمقصود بأرض الخمر هي الشام. انظر «النهاية».

[٢] الخمير هو الخبز ، سمي بذلك لأن عجينته تتخمر فتذهب فطورته. ولعله أرض الشام سُمِّيت بذلك لطيب ما يصنع من الخبز هناك والله أعلم. انظر «لسان العرب».

[٣] يقصد المدينة.

[٤] يقصد القتل والسبي لمن خالف أمره.

[٥] رواه ابن إسحاق في «السيرة» ، ص (٦٤–٦٥) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٨١/٢).

[٦] بلدة من بلاد الروم كما في «معجم البلدان» لياقوت الحموي.

قال: أي بُني ، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي ، هو مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

فلما مات لحق سلمان بالمدينة ثم التقى برسول الله ﷺ وآمن به ، في قصة طويلة رواها أحمد في «مسنده»[١] .

وكذا قصة زيد بن عمرو بن نفيل مع حبر من أحبار الشام ، دله على النبي ﷺ ، وكان هذا قبل أن يبعث ، قال الحبر لزيد: إنك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته ، وقد خرج في أرضك نبي ، أو هو خارج يدعو إليه ، إرجع إليه وصدِّقه واتبعه وآمن بما جاء به.[٢]

وختاما قصة النجاشي لما هاجر إليه جعفر بن أبي طالب وبعض الصحابة ، فلما بينوا له دين الإسلام وأن عيسى هو روح الله وكلمته ، وأنه ابن مريم العذراء التي لم يقربها بشر ؛ تناول النجاشي عودا من الأرض وقال: يا معشر القسيسين والرهبان ، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزِن هذه[٣] ، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، والذي بشر به عيسى بن مريم.[٤]

---

[١] (٥/٤٤١ – ٤٤٣).

[٢] روى هذه القصة الحاكم في «مستدركه» (٣/٢١٦) ، والنسائي في «الكبرى» (٨١٣٢) ، كتاب المناقب ، باب زيد بن عمرو بن نفيل.

[٣] أي العود الذي تناوله.

[٤] روى هذه القصة ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٦٢٩) ، باب ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي وقصة إسلامه ، وصحح إسنادها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ، ص ١٠٥ .

وقد جاءت صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل ، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

قال: أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ ، وحِرزا[1] للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب[2] في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويُفتح بها أعين عمي وآذان صم ، وقلوب غلف.[3]

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ ، فجاء حَبر من أحبار اليهود فقال: جئت أسألك.

فقال له رسول الله ﷺ : أينفعك شيء إن حدّثتك؟

قال: أسمع بأذُنَي.

فنكَت[4] رسول الله ﷺ بِعودٍ معه فقال: سَلْ.

فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟

فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر[5].

قال: فمن أول الناس إجازةً[6]؟

---

[1] الحرز هو الموضع الذي يتحصن به الإنسان من أسباب الهلاك ، والمقصود أن من اتبعه من الأميين وهم العرب فقد نجا من الهلاك ، وسمي العرب بالأميين لأن الكتابة كانت في وقتهم قليلة. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[2] السخب هو الصيَّاح ، والمقصود التساخب على الدنيا شحا وحرصا في الأسواق.

[3] رواه البخاري (٢١٢٥).

[4] أي ضرب الأرض. انظر «النهاية».

[5] الجسر هو الصراط الذي يضرب على متن جهنم. انظر شرح النووي على صحيح مسلم.

[6] إجازةً أي عبورا على الصراط.

قال: فقراء المهاجرين.

قال اليهودي: فما تُحفتهم[١] حين يدخلون الجنة؟

قال: زيادة كبد النون[٢].

قال: فما غداؤهم على إثرها[٣]؟

قال: يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها.

قال: فما شرابهم عليه؟

قال: مِن عينٍ فيها تسمى سلسبيلا.

قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان.

قال: ينفعك إن حدّثتك؟

قال: أسمع بأُذُنَي.

قال: جئت أسألك عن الولد[٤].

قال: ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مِني الرجل مِني المرأة أذْكَرا بإذن الله ، وإذا علا مِني المرأة مِني الرجل آنثا بإذن الله.

قال اليهودي: لقد صدقت ، وإنك لنبي.

ثم انصرف فذهب.

---

[١] التحفة هي ما يلاطف به الرجل ليذهب به عنه المشقة والشدة ، كالفاكهة ونحوها. انظر «لسان العرب».

[٢] النون هو الحوت ، والمقصود بزيادة كبده هي طرفها ، وهي أطيبها. انظر شرح النووي على «صحيح مسلم».

[٣] أي بعدها.

[٤] أي عن خلقه في بطن أمه.

فقال رسول الله ﷺ : لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ، وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به[1].[2]

وعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مَقدم النبي ﷺ المدينة ، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي.

قال: ما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، ومن أي شيء ينزِع[3] الولد إلى أبيه ، ومن أي شيء ينزِع إلى أَخواله؟

فقال رسول الله ﷺ : خَبّرني بهن آنفا جبريل.

فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

فقال رسول الله ﷺ : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[4].

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة[5] كبد حوت.

وأما الشَّبه في الولد ؛ فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها.

قال: أشهد أنك رسول الله.

---

[1] أي عن طريق الوحي ، وكان هذا في نفس المجلس الذي سأله فيه اليهودي.

[2] رواه مسلم (٣١٥).

[3] أي: ما الشيء الذي يجذبه في الشبه إلى أبيه.

[4] أي من أشراط الساعة الكبرى.

[5] تقدم الكلام عليها.

ثم قال: يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهْت[1] ، إن علموا بإسلامي قبل أن تَسْألهم[2] بَهَتُوني[3] عندك.

فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟

قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا.

فقال رسول الله ﷺ : أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله.

فقالوا: شرُّنا وابن شرِّنا ، ووقعوا فيه.[4]

وقد ذكر البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة» قصصا كثيرة في هذا الباب فليراجعها من أراد الاستزادة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتاب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بني إسرائيل ، وهو عيسى ابن مريم ، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل ، وقص اللهُ خبره في ذلك فقال تعالى ﴿وإذ قال عيسى ابنُ مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد﴾.

---

[1] البُهت هو الكذب والافتراء ، والمقصود أنهم أهل كذب وافتراء.

[2] أي قبل أن تسألهم عني.

[3] أي كذبوا وافتروا علي.

[4] رواه البخاري (٣٣٢٩).

قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

وقد وُجدت البشاراتُ به ﷺ في الكتب المتقدمة ، وهي أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر.[1]

انتهى مختصرا.

ثم نقل رحمه الله شيئا مما ورد في كتب أهل الكتاب التي يعترفون بصحتها ، قدر أربع صفحات ، فليراجعها من أراد الاستزادة.

والأناجيل المتوافرة بأيدي النصارى الآن – على ما فيها من التحريف – تبشر به ، انظر بحوث د. أحمد ديدات رحمه الله.

ولهذا استشهد الله على نبوة محمد ﷺ بشهادة من عنده علم الكتاب ، أي الكتب المنزلة من قبل وهي التوراة والإنجيل ، قال تعالى ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾.

[1] كتاب «دلائل النبوة» ، باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ ، (٦/٢٦٤) ، من كتابه «البداية والنهاية».

النوع الثاني من دلائل نبوته ﷺ أنه لو لم يكن نبيا لحذر منه الأنبياء ، كما قال ابن كثير رحمه الله:
ثم إنه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغارب ، وعمَّت دولةُ أمتِه أقطار الآفاق عمومًا ما لم يحصل لأمة من الأمم قبلها ، فلو لم يكن محمد ﷺ نبيًا ؛ لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذَّر عنه الأنبياء أشد التحذير ، ولنَفَّروا أممهم منه أشد التنفير ، فإنَّ جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة في كتبهم ، ونَهَوْ أممهم عن اتِّباعِهم والاقتداء بهم ، ونصُّوا على المسيح الدجال ، الأعور الكذاب ، حتى قد أنذر نوح – وهو أول الرسل – قومَه.
ومعلوم أنه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من محمد ﷺ ، ولا التنفير عنه ، ولا الإخبار عنه بشيء **خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتِّباعه ، والنهى عن مخالفته ، والخروج عن طاعته.**[1] انتهى.
قلت: أضف إلى ذلك أنه ﷺ لم يأتِ مُكذبا لمن قبله من الأنبياء مُزرِيًا عليهم ، كما يفعل الملوك المُتغلبة على الناس بمن تقدَّمهم من الملوك ، بل جاء مصدقا لهم ، شاهدا بنبوتهم ، ولو كان كاذبا مُتقوِّلًا مُنشِئًا مِن عنده سياسةً ؛ لم يُصدِّق مَن قَبله ، بل كان يُزري بهم ويطعن عليهم كما يفعل أعداء الأنبياء.[2]

[1] بتصرف يسير من كتاب «دلائل النبوة» ، باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ ، (٢٦٤/٦) من كتابه «البداية والنهاية».
[2] استفدت هذه الفائدة من ابن القيم رحمه الله من كتابه «إغاثة اللهفان» (١١٣٦/٢) ، تحقيق: محمد عزير شمس ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

النوع الثالث من دلائل نبوته ﷺ أنه من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمخالف ، ولذا كان الرجل المنصف الذي ليس له إرادة إلا اتباع الحق ؛ يبادر إلى الإيمان بالنبي ﷺ بمجرد ما يراه ويسمع كلامه ويعلم مضمون دعوته ، فيؤمن به ولا يرتاب في رسالته ، بل كان بعضهم يؤمن به بمجرد ما يراه ، ويقول: هذا ليس بوجه كذاب.[1]

ولهذا لما سمع به هرقل ملك الروم ، وعلِم بما تضمنته رسالته ، وما يأمر به وما ينهى عنه ؛ أيقن أنه رسول ، وكاد أن يؤمن به ، ولكن خشِي على نفسه من فوات الرئاسة ، فآثر الدنيا على الآخرة ، فهلك عياذا بالله.[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضِمادًا قدم مكة ، وكان من أزدِ شنوءة ، وكان يرقي من هذه الريح[3] ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمدا مجنون ، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل ، لعل الله يشفيه على يدي.

قال: فلقيه فقال: يا محمد ، إني أرقي من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهل لك؟

فقال رسول الله ﷺ :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد.

قال: فقال: أعِد عليَّ كلماتك هؤلاء.

---

[1] انظر «دلائل النبوة» لابن كثير ، (٦/٢٦٤) ، من كتابه «البداية والنهاية».

[2] انظر قصته مطولة في صحيح البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[3] قال النووي رحمه الله: المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن ، وفي غير رواية مسلم: (يَرقي من الأرواح) أي الجن ، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس ، فهم كالروح والريح.

فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات.

فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغْنَ ناعوس البحر[1] .

قال: فقال: هاتِ يدك أبايعك على الإسلام.[2]

قلت: وهذا الديل من دلائل نبوته مرتبط بدليل آخر ، وهو أنه **أوتي جوامع الكلم** ، أي أنه يقول الكلام القليل الذي يحمل معاني كثيرة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بُعثت **بجوامع الكلم** ، ونُصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضِعت في يدي.[3]

قال أبو عبد الله[4] : وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك.[5]

---

[1] أي وسطه ولجته.

[2] رواه مسلم (٨٦٨).

[3] رواه البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٥٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] أي البخاري رحمه الله ، محمد بن إسماعيل.

[5] رواه البخاري (٧٠١٣) ومسلم (٥٢٣).

النوع الرابع من دلائل نبوته انقطاع استراق الجن للسمع قبيل بعثته ، فقد كان الكهان من العرب تأتيهم الأخبار من السماء عن طريق الشياطين التي تسترق السمع ، فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ ودنا مبعثه حُجِبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع ، وصار من يقعد لاستراق السمع يرمى بشهاب ثاقب من النجوم كما أخبر الله في سورة الجن ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر هام من أمر العباد ، قال الله عنهم ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ ، وظنت قريش لما رأت الرمي بالنجوم أن ذلك علامة على قيام الساعة ، ثم لما بُعِث النبي ﷺ وأسلمت الجن ؛ عرفت سبب منعها من السمع وأنه لئلا يختلط الوحي بما يسترقونه ويلقونه إلى الكهان.[1]

وصدق الله ﴿وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون﴾.

[1] انظر «سيرة ابن هشام» ، باب إخبار الكهان من العرب ، والأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى. (١/١٦٥ – ١٦٦).

النوع الخامس من دلائل نبوته أنه كان لا يرى رؤيا في المنام إلا جاءت مطابقة للواقع مثل فلقِ الصبح[1] ، فقد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض فيها نخل ، فوقع الأمر كما رأى ، وهاجر إلى المدينة.[2]

ورأى أنه سيدخل المسجد الحرام بعدما هاجر من مكة ؛ فوقع ذلك ، ودخل المسجد الحرام فاتحا ، قال تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾.

ورأى في ليلة عشرين من رمضان أنه ساجد في ليلة القدر في ماء وطين ، فلما كانت ليلة إحدى وعشرين من رمضان أصابهم مطر ، فابتل المسجد ، فصلى بهم رسول الله ﷺ تلك الليلة ، فلما انقضت الصلاة رأوا أثر الماء والطين على جبهة النبي ﷺ وأنفه ، تصديقا لرؤياه التي رأى أنه يسجد في ماء وطين.[3]

ورؤاه الصادقة ﷺ كثيرة ، ومن أراد التوسع فعليه بكتاب التعبير من صحيح البخاري ، وكذا كتاب الرؤيا من صحيح مسلم ، باب رؤيا النبي ﷺ .

[1] هكذا قالت عائشة رضي الله عنها كما في البخاري (٣) ومسلم (١٦٠). وفلق الصبح أي ضوؤه وإنارته. انظر «النهاية».

[2] انظر صحيح البخاري (٣٦٢٢) ، ومسلم (٢٢٧٢) عن أبي موسى رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٨١٣) ومسلم (١١٦٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

النوع السادس من دلائل نبوته أن الله خرق العادة له مرارا ، ومن ذلك تكثير الطعام ببركة دعائه ، وقد حصل هذا للنبي ﷺ مرارا ، فعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سُلَيم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء؟

قالت: نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها فلَفّت الخبز ببعضه ، ثم دسّته تحت يدي ولاثتني[1] ببعضه ، ثم أرسلَتني[2] إلى رسول الله ﷺ ، قال: فذهبت به ، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : آرسلك أبو طلحة؟

فقلت: نعم.

قال: بطعام؟

فقلت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا.

فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة: يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك.

---

[1] لاثَ أي لفَّ ، والمقصود أنها لفت بعض الخبز على رأسه وبعضه على إبطه. انظر شرح الحديث في «فتح الباري».

[2] المتكلم هو أنس رضي الله عنه.

فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ، فَفُتَّ ، وعصرت أم سليم عُكَّةً فأدَمَتْهُ[1] ، **ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول**[2] ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا.[3]

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة[4] فيها ثريد ، فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون.

قال له رجل: هل كانت تُمدُّ[5]؟

قال: فمن أي شيء تَعجَبُ؟ ما كانت تُمدُّ إلا من هٰهنا ، وأشار إلى السماء.[6]

وقصص تكثير الطعام بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وقد جمعها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة» في نحو من عشر قصص.[7]

---

[1] العُكَّـة وعاء من جلد مستدير ، يختص لحفظ السمن أو العسل ، وهو للسمن أخص ، وقوله (أدمته) من أدم الشيء أي جعل معه إداما من لحم ونحوه. انظر «النهاية».

[2] أي ما يقول من الدعاء.

[3] رواه البخاري (٣٥٧٨) ومسلم (٢٠٤٠).

[4] القصعة وعاء يؤكل فيه ويُثرد ، أي يصنع الثريد.

[5] أي يُزاد ما فيها.

[6] رواه أحمد (٥/١٨) ، والترمذي (٣٦٢٥) ، وصححه الألباني ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[7] ومواطن تلك القصص كالتالي:

١) حديث جابر رضي الله عنه ، رواه البخاري (٢١٢٧).

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ تكثير الماء القليل ببركة يده ، فعن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه ، أن الماء قل ذات يوم عند المسلمين فقال النبي ﷺ : اطلبوا فضلة[1] من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك ، **والبركة من الله.**

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ .[2]

وفي لفظ: فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه ، فعلمت أنه بركة.

قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟

قال: ألفا وأربع مائة.[3]

---

٢) حديث عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه ، رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٢٦١٨) ومسلم (٢٠٥٦).

٣) حديث جابر رضي الله عنه ، رواه البخاري في المغازي (٤١٠١) ومسلم (٢٠٣٩).

٤) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، رواه البخاري في النكاح (٥١٦٣).

٥) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٢).

٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه مسلم (٢٧).

٧) حديث دكين بن سعيد الخثعمي رضي الله عنه ، رواه أحمد (١٧٤/٤) ، وصححه محققو «المسند».

٨) حديث قيس بن النعمان رضي الله عنه ، رواه الحاكم (٨/٣ – ٩) ، وصححه الذهبي ، وذكره الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

٩) حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٧٩/١) ، وحسن إسناده محققو «المسند».

١٠) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٥٢/٢) ، والترمذي (٣٨٣٩) ، وحسن الألباني إسناده.

[1] أي بقية من ماء قليلة.

[2] رواه البخاري (٣٥٧٦) عن جابر رضي الله عنه ، ورواه النسائي (٧٧) والترمذي (٣٦٣٣) وأحمد (٤٦٠/١) والدارمي في المقدمة ، باب «ما أكرم الله النبي صلى الله عليه وسلم من تفجير الماء من بين أصابعه» ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٥٦٣٩).

وانظر حديث المسور بن مخرمة ومروان الذي رواه البخاري في كتاب الشروط[1] ، وحديث أنس الذي رواه البيهقي في «الدلائل»[2].

وقصص تكثير الماء بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وهي مذكورة في «صحيح البخاري» ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وكذا في «صحيح مسلم» ، في كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ ، وغيرها من كتب الحديث والدلائل.

ومن خوارق العادات التي جرت له ﷺ ما جعل الله من البركة والشفاء في ريقه وعرقه وما انفصل من جسده كشعره ، وهذا خاص بالنبي ﷺ دون غيره ، فعن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت: يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة؟

فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر.

فقال الناس: أُصيب سلمة.

فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة.[3]

ومما جاء في بركة يده الشريفة ما رواه قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر ، فسالت حدقتُهُ[4] على وجنته[5] ، فأرادوا أن يقطعوها ، فسأل النبي ﷺ فقال: لا ، فدعا به ، فغَمز حدقته براحتِهِ ،

[1] (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢).
[2] (١٣٦/٦).
[3] رواه البخاري (٤٢٠٦).
[4] الحدقة هي العين. انظر «النهاية».
[5] الوجنة هي الخد.

فكان لا يُدرَى أيُّ عينيه أُصيبت.[1]

وفي يوم خيبر اشتكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من عينه ، فبصق فيها ودعا له فعادت سليمة.[2]

وقصص استشفاء الصحابة ببركة آثار رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وهي مبثوثة في كتب السنة.[3]

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ **حادثة انشقاق القمر** لما سأله أهل مكة أن يُريهم آية دالة على نبوته ، فانشق القمر فرقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما ، فقال النبي ﷺ : (اشهَدوا)[4].

---

[1] رواه أبو يعلى (١٥٤٩) ، (الناشر: دار الثقافة العربية – لبنان) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في «بداية السول في تفضيل الرسول» ، ص ٤١ ، الناشر: المكتب الإسلامي ، ط ٤ .

[2] رواه البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عته.

[3] انظر حديث سعد بن أبي وقاص الذي رواه مسلم (٢٤٠٤) ، وحديث السائب بن يزيد الذي رواه البخاري (٣٥٤٠) ، وانظر كذلك قصة حنظلة التي رواها الإمام أحمد (٦٨/٥) ، وصحح إسنادها محققو «المسند» ، وقصة أبي العلاء بن عمير التي رواها الإمام أحمد (٢٨/٥) ، وصحح إسنادها محققو «المسند».

[4] انظر صحيح البخاري (٣٦٣٦ ، ٣٨٧٠) ، ومسلم (٢٨٠٢).

تنبيه: قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث رقم (٣٨٧٠):

وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين ، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط ، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة ، وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها مرتين نظر ، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات. انتهى.

ومن **خوارق العادات** التي حصلت له ﷺ أنه أخذ قبضة من تراب في غزوة حنين فرمى بها وجوه الكفار وقال: (شاهت الوجوه) ، أي قـبُحت ، فما بقي منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة ، فولَّوا مُدبرين ، فهزمهم الله عز وجل ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.[١]

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ ؛ **رفْعُ بيت المقدس له وهو في مكة** حتى رآه ووصفه للناس وهو ينظر إليه ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذَّبتني قريش قُـمتُ في الحِجر[٢] ، فجلاَّ[٣] الله لي بيت المقدس ، فطفِقت أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.[٤]

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ أنه **يرى من خلفه وهو يصلي بالناس إماما** ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُقيمت الصلاة ، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: أقيموا صفوفكم وتراصوا ، فإني أراكم من وراء ظهري.[٥]

---

[١] انظر صحيح مسلم (١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

[٢] أي حِجر الكعبة الملاصق لها.

[٣] جلاَّ أي كشف وأوضح.

[٤] رواه البخاري (٣٨٨٦) ومسلم (١٧٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

[٥] رواه البخاري (٧١٩) ومسلم (٤٢٥).

النوع السابع من دلائل نبوته ﷺ إخباره ببعض الأمور الغائبة عن عيون الناس في حينها ، فوقعت كما أخبر ، فمن ذلك أنه نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه صلاة الغائب.[١]

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث جيشا لغزوة مؤته ، فاستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وأوصاهم إن أصيب زيد فأميرهم جعفر ، وإن أصيب جعفر فأميرهم عبد الله بن رواحة ، وبينما الصحابة في المدينة مع رسول الله ﷺ إذ نعى زيدا ثم جعفرا ثم ابن رواحة وهو قاعد في المدينة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرةٍ ففُتح له.[٢]

ولما نزل النبي ﷺ بدرا قبل المعركة حدد مواضع قتل بعض رؤوس المشركين ، فعن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول: هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله.

فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ؛ ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ .[٣]

ومنها قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، وفيها أن رسول الله ﷺ أرسل عليا والمقداد والزبير رضـــي الله عنهم في إثر امرأة تحمل رسالة إلى المشركين ، فقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة «خاخ» ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب إلى المشركين.

---

[١] انظر صحيح البخاري (١٢٤٥) ومسلم (٩٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] رواه البخاري (١٢٤٦).

[٣] رواه مسلم (٢٨٧٣).

وحصل الأمر ، وأدركوها في تلك الروضة ، ومعها كتاب إلى المشركين فيه إفشاء لسر المسلمين.[1]

والأمثلة على هذا النوع من الدلائل عديدة ، وقد جمع شيئا كثيرا منها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

[1] والقصة في صحيح البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

النوع الثامن من دلائل نبوته ﷺ توقير بعض الحيوانات والجمادات له ﷺ ، فعن أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنون[1] عليه ، وان الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسْني عليه ، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا) ، فقاموا ، فدخل الحائط[2] ، والجمل في ناحيته ، فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار: يا نبي الله ، إنه قد صار مثل الكلْبِ الكَلِب[3] ، وإنا نخاف عليك صولته ، فقال: (ليس علي منه بأس) ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله في العمل.[4]

وعن عبد الله بن قُرْط رضي الله عنه أنه قُرِّب إلى رسول الله ﷺ يوم النحر خمس بدنات أو ست ينحرهن ، فطفِقْن يزدلِفن[5] إليه ، أيَّـتُهُنَّ يبدأ بها.[6]

---

[1] أي يستقون عليه الماء من البئر.

[2] الحائط هو البستان.

[3] هو الكلب يشتد في أكل لحوم الناس ، فيصيبه داء شبيه بالجنون ، فإذا عض إنسانا أصابه – أي الإنسان – داء الكلب ، فيمزق ثيابه ، ويعوي عواء الكلب. انظر «لسان العرب».

[4] رواه أحمد (١٥٨/٣) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

وفي الباب عن عبد الله بن جعفر ، رواه أحمد (٢٠٤/١) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[5] طَفِق أي أخذ في فعل شيء ما ، وهو هنا الازدِلاف إلى النبي ﷺ ، أي التقرب منه ، والمقصود: جعلن يتقربن إليه ، كل واحدة تريد أن يبدأ النبي ﷺ بنحرها قبل أختها.

[6] رواه أحمد (٣٥٠/٤) ، وأبو داود (١٧٦٥) ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله كما في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ، ص ١١٨ ، وكذا صححه محققو «المسند» والألباني رحمه الله.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجرا بمكة كان يُسَلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن.[1]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صَعَدَ إلى أُحُدٍ[2] ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: أُثبت أُحُدٍ ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.[3]

ومن ذلك أيضا حنين جذع نخلة كانت في المسجد إليه ، فقد كان النبي ﷺ يخطُب يوما إلى جذع نخلة في المسجد ، فصنعوا له منبرا ، فلما كانت الجمعة قعد إليه النبي ﷺ ، فبكى الجذعُ حتى سمعوا له صوتا مثل صوت العِشار[4] ، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه وضمَّه فسكت.[5]

---

[1] رواه مسلم برقم (٢٢٧٧).

[2] «أُحُدٍ» اسم جبل عظيم من جبال المدينة النبوية.

[3] رواه البخاري برقم (٣٦٧٥ ، ٣٤٧٢).

[4] العشار جمع عشراء ، وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر.

[5] انظر صحيح البخاري (٩١٨ ، ٢٠٩٥).

النوع التاسع من دلائل نبوته إخباره عن أمور مستقبلية تحصل تبعا مع مرور الزمن ، فحصلت كما أخبر ، فمن هذا إيماؤه إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه[١].

وإخباره عن مجيء أويس القرني من اليمن ، وأن له والدة هو بها بار ، وأن به بياض بقدر موضع درهم أو دينار ، لو أقسم على الله لأبره ، فأتى إلى المدينة كما أخبر ، ولقيه عمر رضي الله عنه.[٢]

وإخباره عن استقامة القرون الثلاثة ، فحصل الأمر كما أخبر ، فكانوا خير القرون التي مرت عليها الأمة الإسلامية ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.[٣]

ومنها إخباره بفتح اليمن والشام والعراق ، فوقع الأمر كما أخبر.[٤]

ومنها إخباره بفتح مصر.[٥]

ومنها إيماؤه إلى انتصار الروم على فارس ، فوقع الأمر كما أخبر ، وذلك قوله تعالى ﴿غلبت الروم * في أدنى الأرض * وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾ ، والبِضع هي ما دون العشر في العدد ، فغُلبوا قبل تمام المدة.[٦]

ومنها إخباره بفتح خيبر على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[٧]

---

[١] انظر حديث عائشة في صحيح البخاري (٥٦٦٦) ومسلم (٢٣٨٧).

[٢] رواه مسلم (٢٥٤٢).

[٣] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) ، واللفظ للبخاري.

[٤] انظر صحيح البخاري (١٧٧٦) ، ومسلم (١٣٨٨) ، وكذا أبو داود (٢٤٨٣).

[٥] انظر صحيح مسلم (٢٥٤٣).

[٦] انظر «جامع الترمذي» (٣١٩٣) ، والبيهقي في «الدلائل» (٣٣٠/٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٧] انظر صحيح البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦).

ومنها إخباره بمقتل عثمان رضي الله عنه مظلوما.[١]

ومنها إخباره بمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مظلوما.[٢]

ومنها إخباره بأن ابنته فاطمة أول الناس لحوقا به من أهل بيته بعد وفاته.[٣]

ومنها إخباره بأن أول زوجاته لحوقا به بعد وفاته زينب رضي الله عنها.[٤]

ومنها إخباره بإخراج اليهود من خيبر ، فوقع الأمر كما أخبر في خلافة عمر رضي الله عنه.[٥]

ومنها إخباره أن بعض أمته سيركبون البحر غزاة ، وأن أم حرام منهم ، فكان الأمر كذلك في خلافة عثمان رضي الله عنه.[٦]

ومنها إخباره بفتح فارِس.[٧]

ومنها إخباره بهلاك كسرى وقيصر ، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله.[٨]

ومنها إشارته ﷺ لوقوع بعض الفتن بالمدينة[٩] ، فوقعت كما أخبر ، فأولها مقتل عمر ثم عثمان ثم وقعة الحرة في زمن يزيد بن معاوية.

---

[١] انظر جامع الترمذي (٣٧٠٨) ، وصححه الألباني.

[٢] انظر صحيح البخاري (٢٨١٢) ومسلم (٢٩١٥).

[٣] انظر صحيح البخاري (٣٦٢٦) ومسلم (٢٤٥٠).

[٤] انظر صحيح البخاري (١٤٢٠) ومسلم (٢٤٥٢).

[٥] انظر صحيح البخاري (٢٧٣٠).

[٦] انظر صحيح البخاري (٢٧٨٩) ومسلم (١٩١٢).

[٧] انظر صحيح مسلم (٢٩٠٠).

[٨] انظر صحيح البخاري (٣٥٩٥) ومسلم (٢٩١٨) ، وكذا حديث جابر بن سمرة الذي رواه مسلم (٢٩١٩).

[٩] انظر صحيح البخاري (١٨٧٨) ومسلم (٢٨٨٥).

ومن دلائل نبوته إخباره ﷺ بأن الطاعون لا يدخل المدينة ، فوقع الأمر كما أخبر ، فلم يدخلها قط.[1]

ومنها إخباره عن تفرق الأمة من بعده على فرق كثيرة ، فوقع الأمر كما أخبر.[2]

ومنها إخباره بأن أناسا من أمته سيكذبون بالقدر ، فوقع الأمر كما أخبر ، فظهر أناس يدعون أن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه ، تعالى الله عن ذلك.[3]

ومنها إخباره عن الفِرقة التي تسمي نفسها بالقرآنيين ، وهم الذين يدَّعون الإيمان بالقرآن ويكفرون بالسنة ولا يؤمنون بها ، فوقع الأمر كما أخبر ، وهم موجودون الآن ، أراح الله العباد والبلاد من شرهم.[4]

ومنها إخباره ﷺ بأن بعض أمته سيتشبه باليهود والنصارى ، فوقع الأمر كما أخبر.[5]

ومن دلائل نبوته إخباره أنه سيأتي على أمته زمان لا يبالي المرء فيه من أين أخذ ماله من حلال أو من حرام[6] ، فوقع الأمر كما أخبر ، كما هو الحال في زماننا.

ومن دلائلها أيضا إخباره بظهور الخوارج ، وكان أول أمرهم لما أتى علي رضي الله عنه بمال من اليمن ، فقسمه النبي ﷺ بين أربعة نفر ، فقام رجل غائر العينين ، مُشرِفُ الوجنتين ، ناتئُ الجبين ،

---

[1] انظر صحيح البخاري (٥٧٣١) ومسلم (١٣٧٩).

[2] انظر سنن أبي داود (٤٥٩٦) ، وقال الألباني في تعليقه عليه: حسن صحيح ، وفي الباب عند ابن ماجه (٣٩٩٢) عن عوف بن مالك رضي الله عنه ، وصححه الألباني أيضا.

[3] انظر صحيح مسلم (٨).

[4] انظر سنن أبي داود (٤٦٠٤) ، والترمذي (٢٦٦٤) وابن ماجه (١٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[5] انظر صحيح البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

[6] انظر صحيح البخاري (٢٠٥٩).

كثُّ اللحية[١] ، محلوق الرأس ، مُشمِّر الإزار ، فقال: يا رسول الله ، اتَّقِ الله!
فقال له رسول الله ﷺ : ويلك ، أولست أحق أهل الأرض أن يتق الله؟!
ثم لما ولى الرجل قال النبي ﷺ : إنه يخرج من ضِئضىء[٢] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.
إلى أن قال: آيتهم رجل أسود إحدى عَضُديه[٣] مثل ثدي المرأة ، أو مثل البُضعة[٤] تدَردَر[٥] ، ويخرجون على حين فرقة من الناس.
قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتُمِس فأُتِي به ، حتى نظرت إليه على نعتِ النبي ﷺ الذي نَعَتَهُ.[٦]
وفي رواية مسلم في وصفهم: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.[٧]
ومن الأمور الغيبية التي أخبر النبي ﷺ بوقوعها في المستقبل أن أقواما من أمته سيستحلون الحِرَ

---

[١] الكثاثة في اللحية أن تكون غير رقيقة ولا طويلة لكن فيها كثافة. انظر «النهاية».
[٢] الضئضىء هو الأصل ، والمقصود هو النسل. انظر «النهاية».
[٣] العضد هو ما بين الكتف والمرفق. انظر «النهاية».
[٤] البُضعة هي القطعة من اللحم. انظر «النهاية».
[٥] تدردر أي ترتج ، وأصلها تتدردر ، ولكن حذفت إحدى التاءين تخفيفا. انظر «النهاية».
[٦] انظر صحيح البخاري (٣٦١٠ ، ٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤).
[٧] قال مقيده عفا الله عنه: والخوارج فرقة ظهرت في ذلك الزمان ، وهي موجودة إلى الآن ، وهناك من الطوائف الآن من يحمل فكرها الثوري ، كالجماعة المسلحة في مصر ، قال الشيخ مقبل في «دلائل النبوة» ، ص ٦٠٠ : هذا الحديث وأمثاله ينطبق على جماعة التكفير والهجرة التي ظهرت بمصر وامتدت إلى جميع الأقطار الإسلامية.

والحرير والخمر والمعازف ، فوقع الأمر كما أخبر.[١]

ومن دلائل نبوته إخباره عن بعض أشراط الساعة الصغرى ، فظهر بعضها كما أخبر ، ومن ذلك قبض العلم[٢] ، وكثرة الزلازل ، وتقارب الزمان ، وظهور الفتن ، وكثرة القتل ، وكثرة المال[٣] ، وفُشُو الجهل ، وشرب الخمر ، والزنا[٤] ، ويكثر النساء ، ويقِلُّ الرجال[٥] ، وإخباره ﷺ أن المسلمين سيقاتلون قوما ينتعلون نِعال الشَّعر[٦] ، قال الحافظ في «الفتح»: وَقَدْ وَقَعَ لِلْإِسْمَاعِيلِي مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَصْحَابَ «بَابَك» كَانَتْ نِعَالُهُمْ الشَّعْر.

قُلْت: «بَابَك» مِنْ طَائِفَةٍ مِنْ الزَّنَادِقَةِ ، اِسْتَبَاحُوا الْمُحَرَّمَات ، وَقَامَتْ لَهُمْ شَوْكَة كَبِيرَة فِي أَيَّام الْمَأْمُون ، وَغَلَبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ كَطَبَرِسْتَان وَالرَّيْ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ «بَابَك» الْمَذْكُورُ فِي أَيَّام الْمُعْتَصِم ، وَكَانَ خُرُوجه فِي سَنَة إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ أَوْ قَبْلَهَا ، وَقَتْلُهُ فِي سَنَة اِثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ. انتهى كلامه.

---

[١] انظر صحيح البخاري (٥٥٩٠).

والحِرُ هو الفرج ، والمقصود انتشار الزنا كما لو أنه حلالا ، وقد انتشر الزنا في بعض البلاد الإسلامية انتشارا واسعا عياذا بالله.

[٢] ويكون هذا بقبض العلماء.

[٣] انظر صحيح البخاري (١٠٣٦).

[٤] انظر صحيح البخاري (٨٠) ومسلم (٢٦٧١).

[٥] انظر صحيح البخاري (٨١) ومسلم (٢٦٧١).

[٦] انظر صحيح البخاري (٢٩٢٧) عن عمرو بن تغلب ، وكذا مسلم (٢٩١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعنى قوله (ينتعِلون نِعال الشعر) أي يلبسون النعال المصنوعة من شعر الإبل ونحوه.

ومما ذكره النبي ﷺ في أشراط الساعة الصغرى إخباره ﷺ أن المسلمين سيقاتلون الترك ، وقد جاء وصفهم بأن وجوههم كالمِجان المُطرقة[١] ، صِغار الأعين ، حُمر الوجوه ، ذُلف[٢] الأنوف.[٣]

قال النووي رحمه الله: وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ ، فقد وُجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ ، صغار الأعين ، حُمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، عِراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، ينتعلون الشعر ، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا ، وقاتلهم المسلمون مرات ، وقتالهم الآن ، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم ، وسائر أحوالهم ، وإدامة اللطف بهم والحماية ، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى. انتهى.

ومما ذكره ﷺ في أشراط الساعة الصغرى ، فظهر كما أخبر ؛ ما جاء في حديث عمر بن الخطاب في «صحيح مسلم»[٤] لما سأل جبريل النبي ﷺ عن علامات الساعة فقال: (أن يتطاول الرّعاة في البنيان) ، أي أن رُعاة الغنم والإبل يتركون الرعي ويشتغلون بالبناء حتى أنهم ليتطاول بعضهم على بنيان بعض ، وهذا مشاهد في هذا الزمان.

ومن ذلك أيضا ما حدّث به عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من أَدَم[٥] ، فقال:

---

[١] المجان جمع مِجن وهو الترس ، والطَّرق هو إلباسها العَقَب وهو العَصَب ، ولعل العصب خُصَّ بذلك لبياضه ، والمقصود عراض الوجوه ، بِياضُها.

[٢] ذُلف الأنوف أي صغارها.

[٣] انظر صحيح البخاري (٢٩٢٧) عن عمرو بن تغلب ، وكذا مسلم (٢٩١٢) عن أبي هريرة.

[٤] رقم (٨).

[٥] الأدَم هو الجلد.

أُعدُد سِتًّا بين يدي الساعة: مَوتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم مُوتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدِرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا.[1]

قال ابن حجر في «الفتح»:

مُوْتَانِ ، قَالَ الْقَزَّاز: هُوَ الْمَوْت ، وَقَالَ غَيْره: الْمَوْت الْكَثِير الْوُقُوع.

قَوْله: (كَعُقَاصِ الْغَنَم) ؛ هُوَ دَاء يَأْخُذ الدَّوَابّ فَيَسِيل مِنْ أُنُوفهَا شَيْء ، فَتَمُوت فَجْأَة ، وَيُقَال إِنَّ هَذِهِ الْآيَة ظَهَرَتْ فِي طَاعُون عِمَوَاسٍ فِي خِلَافَة عُمَر ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْد فَتْح بَيْت الْمَقْدِس.

قَوْله: (ثُمَّ اِسْتِفَاضَة الْمَال) أَيْ كَثْرَته ، وَظَهَرَتْ فِي خِلَافَة عُثْمَان عِنْد تِلْكَ الْفُتُوح الْعَظِيمَة ، وَالْفِتْنَة الْمُشَار إِلَيْهَا اُفْتُتِحَتْ بِقَتْلِ عُثْمَان ، وَاسْتَمَرَّتْ الْفِتَن بَعْده ، وَالسَّادِسَة لَمْ تَجِئْ بَعْدُ.

قَوْلُهُ: (بَنِي الأصفر) هُمْ الرُّوم.

قَوْله: (غَايَة) أَيْ رَايَة ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا غَايَة الْمُتَّبِع ، إِذَا وَقَفَتْ وَقَفَ. انتهى باختصار.

قال مقيده عفا الله عنه: وقد ظهرت كلها إلا الهدنة المشار إليها ، وهذا من دلائل نبوته ﷺ ، اللهم انصر المسلمين على من بغى عليهم.

ومن ذلك أيضا ما حدَّث به أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)[2] ، وقد وقع الأمر كما أخبر ، فصار الناس يتباهون بزخرفة المساجد ، وبعضهم

---

[1] رواه البخاري (٣١٧٦).

[2] رواه أبو داود (٤٤٩) وابن ماجه (٧٣٩) ، وصححه الألباني.

ينفق الأموال الطائلة في سبيل التزيين ويعدها صدقة وقربة ، وهذا ليس بسبيل شرعي ، بل السبيل الشرعي هو ما كان في سبيل تقوية البناء أو توسعته.

ومنها إخباره بأن عبد الله بن بُسْر سيعيش مائة سنة ، فكان الأمر كذلك.[١]

ومنها إخباره عن خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى[٢] ، وهي مدينة بالشام ، وقد خرجت هذه النار سنة خمس وستين وست مئة ، وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى[٣].

ومن دلائل نبوته ﷺ ما أخبر به من أن الناس سيأتي عليهم زمان يتركون فيه ركوب الإبل ، وقد تحقق هذا في زماننا هذا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : والله لينزِلُنَّ ابن مريم حكما عادلا ، فليكسِرُنَّ الصليب ، وليقتِلُنَّ الخنزير ، وليضعُنَّ الجزية ، **ولتُترَكُنَّ القِلاص فلا يُسعى عليها** ... الحديث.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير قوله تعالى ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾[٤] :

ومحل الشاهد من هذا الحديث الصحيح قوله ﷺ : (ولتتركُنَّ القِلاص[٥] فلا يُسعى عليها) ، فإنه قَسمٌ من النبي ﷺ أنه ستُترك الإبل فلا يُسعى عليها ، وهذا مُشاهدٌ الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة[٦].

---

[١] رواه أحمد (٤/١٨٩) ، وانظر ترجمة عبد الله بن بسر في «سير أعلام النبلاء».

[٢] رواه البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣] انظر «البداية والنهاية» ، أحداث سنة ٦٥٤ هـ.

[٤] سورة النحل: ٨ .

[٥] القلاص جمع قلوص وهي الناقة الشابة. انظر «النهاية».

[٦] يعني الطائرات والقطارات والسيارات ، وقد تقدم ذكرها في كلام الشيخ رحمه الله.

وفي هذا الحديث معجزة عظمى تدل على صحة نبوته ﷺ وإن كانت معجزاته صلوات الله عليه وسلامه أكثر من أن تُحصر. انتهى.

فصل

وهناك أمور مستقبلية لم تظهر بعد ، ولكنها ستظهر قطعا ، مصداقا لقول النبي ﷺ ، ومن ذلك ما حدَّث به عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقاتلكم اليهود ، فتُسَلَّطون عليهم ، حتى يقول الحَجر: يا مسلم ، هذا يهودي ورائي فاقتله.[١]

ومن ذلك أيضا ما أخبر به ﷺ من أن المدينة النبوية لا يدخلها الدجال.[٢]

---

[١] رواه البخاري (٣٥٩٣) ومسلم (٢٩٢١) ، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري (٢٩٢٦) ، ومسلم (٢٩٢٢).

[٢] انظر صحيح البخاري (٥٧٣١) ومسلم (١٣٧٩).

النوع العاشر من دلائل نبوته ﷺ هو القرآن الكريم ، وهو مُعجِزٌ في ذاته من سبعة وجوه[١]:

الأول: بيانه وفصاحته ، فالقرآن الكريم نزل على قريش بلغتهم ، وفي زمان بلغت فيه قريش الذروة في الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن نظم الشعر ، فظنوا في أول الأمر أنهم يستطيعوا الإتيان بمثله فقالوا ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾[٢] ، فنزل القرآن بتحديهم على ثلاثة مراحل ؛ الأولى أن يأتوا بمثله[٣] ، والثانية أن يأتوا بعشر سور مثله[٤]، والثالثة أن يأتوا بسورة مثله[٥] ، فعجزوا مع شدة حرصهم على مغالبة القرآن وقوة فصاحتهم ، فقطع الله طمعهم إلى قيام الساعة في قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[٦].

ثانيا: حفظه من التحريف على مر العصور والدهور ، ووجه الإعجاز أنه لم يحفظ كتاب من الكتب السماوية كما حفظ هذا الكتاب ، وصدق الله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

---

[١] قولي إنما سبعة ليس على سبيل التحديد ، ولكن هذا ما يسر الله الوقوف عليه ، وربما كان هناك وجوه أخرى ، فالله تعالى أعلم ، وانظر للاطلاع وجوه إعجاز القرآن الكريم العشرة كما ذكرها القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ، باب: ذكر نكت في إعجاز القرآن ، وشرائط المعجزة وحقيقتها.

[٢] سورة الأنفال: ٣١ .

[٣] سورة الطور: ٣٣ – ٣٤ .

[٤] سورة هود: ١٣ .

[٥] سورة البقرة: ٢٣ .

[٦] سورة الإسراء: ٨٨ .

ثالثا: حسن ما تضمنه من تشريع وأحكام ، تصلح لجميع البشر ولجميع الأزمنة والأمكنة ، وتشمل جميع ما يصلح العباد في دنياهم وآخرتهم ، في العقيدة والشريعة والآداب والاقتصاد والسياسة وغيرها.

رابعا: صدق الأخبار التي تضمنها ، سواء التي مضت ، أم التي تحصل تَبَعًا مع مرور الزمن أثناء تنزيل القرآن ، أو الآيات التي فيها ذكر بعض الأمور المستقبلية ، **فأما الأخبار التي مضت** فهي كالإخبار عن خلق السماوات والأرض ، وقصة آدم وإبليس ، ثم قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم ، وقصة صاحب الجنتين ، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين ، وغيرها ، جاءت كل هذه الأخبار على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وتضمن القرآن كذلك ذكر بعض الأحكام الواردة في التوراة ، وبيان كتمان أحبار اليهود لها ، حتى تحداهم القرآن بقوله ﴿قل فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين﴾.

وأما الآيات التي نزلت تبعا مع التنزيل فكالآيات التي نزلت لكشف أحوال المنافقين ، والآيات التي فيها إجابة على أسئلة ، كالتي تصدرها قوله ﴿ويسألونك﴾ ، وكذا المواقف التي كشفت عن صدق الله وعده لنبيه بالنصر في الحروب ، وغير ذلك.

وأما الآيات التي فيها أخبار ما سيأتي في المستقبل فوقعت مطابقة لما أخبر فكدخول المسجد الحرام ، وهي في آخر سورة الفتح.

وأيضا قوله تعالى ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ ، فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم أن عمر لما نزلت هذه الآية قال: أيُّ جمعٍ يُهزم؟

فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يَثِبُ في الدِّرع ويقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

وفي رواية لابن أبي حاتم: فعرفتُ تأويلها يومئذ.

وكذلك الآيات التي فيها تقرير عجز الناس عن أن يأتوا بآية مثل آيات القرآن ، فعجز الناس فعلا ، وكالآيات التي تقرر حفظ الله لكتابه ، كقوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ، فوقع الأمر كما أخبر ، فكم من ملحد حاول ثم نكص على عقبيه ، وكالآيات التي تقرر حصول العزة والكرامة والسيادة والظهور للأمة الإسلامية إن استقامت على أمر الله ، فوقع الأمر كما أخبر الله في القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ ، ثم لما فشا فيهم الشرك والبدع ، والبعد عن منهج السلف الصالح في العقيدة والشريعة والسلوك ؛ صاروا في ذيل الأمم ، وتسلطت عليهم الأمم الأخرى ، واحتلوا بلادهم قرونا[1] .

ومن دلائل صدق القرآن ما جاء فيه من ذكر بعض الأمور العلمية ، ثم لما ظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر ، فمراحل تكوين الإنسان في بطن أمه – مثلا – قد تحدث عنه القرآن قبل أربعة عشر قرنا ، بينما لم يَهتدِ علماءُ الطب إلى مراحل ذلك التكوين إلا في العقود المتأخرة من هذا الزمان.

---

[1] تعمدت هنا ذكر جملة (واحتلوا بلادهم قرونا) بدل (واستعمروا بلادهم قرونا) ، والفضل في هذا الاختيار يعود للعلامة السلفي محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله ، فقد انتقد كلمة (الاستعمار) ، فقال ما معناه أن مادة هذه الكلمة هي (العمارة) ، ومن مشتقاتها التعمير والعمران ، كما قال الله تعالى ﴿هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ ، والذي وقع من الإفرنج في تلك الحقبة الزمنية هو الاستخراب لا الاستعمار ، فإنهم خرّبوا الأوطان والأديان والعقول والأفكار والمقومات ، وتركوا آثارا وبصمات سيئة بعد انسحابهم من البلاد التي احتلوا وهيمنوا عليها ، ومع الأسف فالمصطلح المستعمل بين المسلمين بعد انسحابهم وإلى الآن هو الاستعمار ، وهذا خطأ لفظي واضح.

انظر «آثار الإبراهيمي» (٣/٥٠٦ – ٥٠٧).

وكذا الأمر بالنسبة لتكوين البحار والجبال وغيرها ، فقد جاء ذكر تكوينها الطبيعي في القرآن ، وبعد ظهور المكتشفات الحديثية وقعت مطابقة لما أخبر به.

وقد أُلِّفَت في مطابقة الاكتشافات العلمية لما جاء به القرآن مؤلفات كثيرة ، وأسلم بسبب هذا التطابق عددٌ ليس بالقليل من علماء الطبيعة ، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

خامسا: تنوع العلوم التي احتواها ، فعلاوة على أن القرآن الكريم قد قرر العقيدة الصحيحة فيما يتعلق بصفات الله تعالى وأحقيته بالعبادة ، وهَدَمَ أساطير الخرافة والتعلق بالمخلوقات ؛ فإنه لم يقتصر على هذا ، فقد اغترف منه علماء النحو والبلاغة واللغة الشيء الكثير ، بل هو المعيار الأساس لضبط علومهم.

فتنوُّع العلوم هذه كلها تدل على أن النبي ﷺ صادق فيما يبلغه عن ربه ، فإنه من المستقر المعلوم عند قومه أنه أمي ، لا يقرأ ولا يكتب ، فمن أين سيأتي بكل هذه الأخبار القرآنية لولا أنه يوحى إليه من ربه؟ قال تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بها إلا المبطلون﴾.

سادسا: ومن وجوه إعجاز القرآن تأثيره البليغ في النفوس ، سواء كانت نفوسا مؤمنة أو كافرة ، وصدق الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ ، وقوله ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾.

وقد تأثر بالقرآن بعض صناديد الكفر من قريش ، ومن ذلك قصة الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن ، فقد روى ابن جرير في «تفسيره»[1] والحاكم في «مستدركه»[2] واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا.

قال: لِمَ؟

قال: ليعطوكَهُ ، فإنك أتيت محمدا لتعرِض لما قِبَله.[3]

قال: قد علِمَت قريش أني من أكثرها مالا.

قال: فقُل فيه قولا يبلُغ قومك إنك منكرٌ له ، أو إنك كارهٌ له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برَجزٍ ولا بقصيدةٍ مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يُشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لِقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطُلاوة[4] ، وأنه لمثمرٌ أعلاه ، مُغدِقٌ[5] أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلى ، وإنه ليحْطِم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني حتى أفكر.

فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر ، يأثِره عن غيره[6] ، فنزلت ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾.

---

[1] تفسير سورة المدثر .

[2] (٥٠٧/٢).

[3] أي لتدري ما عنده ، يريدون أنه طمع بما عنده ، فلهذا ذهب إليه.

[4] أي رونقا وحسنا ، وقد تفتح الطاء. انظر «النهاية».

[5] الغدَق هو الماء الكثير ، وفي التنزيل ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ ، والمقصود بالمغدق في الكلام هنا هو كثرة خيره. انظر «لسان العرب».

[6] أي يرويه عن غيره.

وأخرج ابن إسحاق في السيرة[1] والبيهقي في «الدلائل»[2] واللفظ له عن الزهري قال: حُدِّثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه ، وكُلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرَّقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: (لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا) ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقالوا: (لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود) ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد.

فقال: يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا ، والذي حلفتَ به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال: يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفَرَسَيْ رِهان ؛ قالوا: (منا نبي يأتيه الوحي من السماء!) ، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس بن شريق. انتهى.

---

[1] كتاب السيرة ، ص (١٦٩).

[2] باب جماع أبواب المبعث (٢٠٦/٢).

ولما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ ، وكان جبير يومئذ مشركًا ؛ قال : كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.[١]

ولما كان القرآن يتصف بهذا التأثير البليغ في النفوس ؛ تعاهد الكفار ألا يستمعوا للقرآن ، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ ، وما ذاك إلا لتأثيره في نفوسِهم ، وإحساسهم به في أعماقهم ، ولكنهم قوم يستكبرون عن سماع الحق.
وقد أثّر القرآن في بعض النصارى فآمنوا به ، قال تعالى عنهم ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾.
أما المؤمنين فتأثير القرآن عليهم واضح ، قال تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ ، والكلام في هذا يطول ، وهو موجود في مظانه ، ويكفي في هذا ما ذكره السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان»[٢] أن جماعة ماتوا عند سماع آيات الله ، وقد أفرَدَ أسمائهم في مصنف.

سابعا: ومن وجوه إعجاز القرآن الاستشفاء به من الأمراض الحسية والمعنوية (أي النفسية) ، فأما الأمراض الحسية فقد حذر القرآن من جملة من المطعومات والمشروبات والسلوكيات على سبيل الوقاية من الأمراض ، ومن ذلك تحريم الخمر والخنزير والزنا واللواط وإتيان النساء في المحيض.

---

[١] رواه البخاري مفرقا ، (٤٨٥٣ ، ٤٠٢٣).

[٢] باب: النوع الرابع والستون ؛ في إعجاز القرآن.

وبعد الإصابة بالأمراض فقد أرشد النبي ﷺ إلى التداوي بقراءة سورة الفاتحة ، وأخبر أنها رقية ، كما أرشد القرآن إلى التداوي بالعسل ، ﴿فيه شفاء للناس﴾.

وأما الأمراض النفسية فالقرآن هو أفضل الأدوية لها ، بل إن سبب هذه الأمراض هو البعد عن القرآن ، ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ ، ومن تلك الأمراض القلق والاكتئاب والسحر والأخلاق الرديئة من طمع وكبر والانحراف وراء الشهوات وغير ذلك ، وذلك أن هذه الأمراض تحصل نتيجة الخواء الروحي ، وليس للخواء الروحي داء إلا الرجوع إلى الله تعالى ، وصدق الله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ، ﴿وننـزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ ، ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ ، ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾.

فائدة – التوراة والإنجيل لا يُجزم بأنها معجزة في لفظِها

لا يُجزم بأن التوراة والإنجيل مُعجزة من حيث اللفظ والنظم كالقرآن ، فهذا يرجع إلى اللغة التي أنزِل بها وهي العبرانية ، وإنما هي مُعجزة لما تضمنته من المعاني ، كالإخبار عن الغيوب ، وما فيها من الهدى والنور ، وما فيها من الإخبار بنبوة محمد ﷺ .[1]

تم الكتاب بحمد الله ، وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرا.

[1] انظر كتاب «النبوات» (٥١٩).